السنة الثانية والسبعون وثلاث مئة

فيها في صفر قَبض عضد الدولة على أبي الوفاء طاهر بن محمد، وحُمل إلى قلعة الماهكي، ثم قُتل بعد وفاة عضد الدولة.

وفي ربيع الآخر فُتح المارستان الذي أنشأه عضد الدولة بالجانب الغربي من بغداد، وهو القائم الآن، ورتَّب فيه الأطباء والمعالجين والوكلاء، وحُملت إليه الأشربةُ والأدوية والفُرش وغيرها.

وفي شوال توفيّ عضد الدولة، وأُخفي خبرُه، وكتمه خواصُّه كتماناً اجتهدوا فيه، واستَدْعَوا صمصامَ الدولة ابنَه إلى دار المملكة، وأخرجوا عهداً من عضد الدولة بتوليته واستخلافه.

وكان في العهد: قد قَلَّدْنا أبا كاليجار المرزبان بن عضد الدولة ولايةَ عهدنا، وخلافَتنا على الممالك والأعمال، والله يختار لنا وله حُسنَ الخيرة... وذكر بمعناه.

وبويع على ما في العهد، والتمسوا من الطائع العهد والخِلَع، فكتب به، وبعث إليه بالخلع واللواء.

وجلس صمصام الدولة، وقرئ العهد بين يديه، واستمرَّ الحال على إخفاء موت عضد الدولة إلى أن تمهَّد أمرُ صمصام الدولة، واجتمعت الكلمة على طاعته، ثم خَلع على الأميرين أبي الحسين أحمد وأبي طاهر هارون شاه[1]، وحُملا على فرسين بمركبي ذهب، وخرجا إلى شيراز للنظر في أمورها.

وكان عضد الدولة لما مات خاف صمصام الدولة من أخيه أبي الحسين أحمد فاعتقله، وكانت والدته ابنة نادر ملك الدَّيلم، فخافهم صمصام الدولة، وعزمت أمُّه على كبس دار صمصام الدولة، وتلبس ثيابَ الرجال، وتأتي معها بالديلم فتُخَلِّص ابنَها.

---

(١) في الكامل ٩/ ٢٢: وأبي طاهر فيروز شاه.

وعلم صمصام الدولة، فأطلقه، وولَّاه شِيراز وفارس، وقال له: اِلْحَق قبل أن يصل إليها شرف الدولة، وأعطاه الأموال والرجال، فسار إليها، فوصل الأهواز وقد سبقه شرف الدولة إلى شِيراز.

وأقام أبو الحسين بالأهواز، وباينَ أخاه صمصام الدولة، وتلقَّب بتاج الدولة، وأسقط خطبة أبيه وأقامها لنفسه، وادَّعى الملك[١].

فبعث إليه صمصام الدولة جيشاً من التُّرك والدَّيْلَم، فهزمهم، وقتل جماعةً منهم، واستولى على الأهواز، ووجد فيها أربع مئة ألف دينار، وثلاثة آلاف وخمس مئة ثوب ديباج، وأربع مئة رأس من الدواب، وجِمالاً، وقماشاً، وغير ذلك، فاستولى على الجميع وجاءه الدَّيْلَم والتُّرك فاستخدمهم وأغناهم، فأحبوه، وسار إلى البصرة فملكها، ورتَّب فيها أخاه أبا طاهر، ولقَّبه ضياءَ الدولة.

وفيها وثب أبو الفرج بنُ عمران بن شاهين على أخيه أبي محمد الحسن بن عمران صاحب البَطيحة، فقتله واستولى عليها.

وفيها قُلّد أبو القاسم علي بن أبي تَمَّام الزَّينبي نقابة العباسيين، وخُلِع عليه[٢].

وحج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوي[٣]، وقيل: لم يحجَّ أحد من العراق إلى سنة ثمانين وثلاث مئة بسبب الفتن والخُلْف بين العراقيين والمصريين.

[فصل وفيها توفي

عبد الله بن أحمد بن ماهبزد

أبو محمد، الأصبهاني.

---

(١) الذي في الكامل ٩/ ٢٢ ـ ٢٣ أن الذي فعل كل ذلك هو شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل، وأنه استولى على فارس وملك البصرة وأقطعها أخاه أبا الحسين.

(٢) من قوله: وكتمه خواصه كتماناً اجتهدوا فيه... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٣) في المنتظم ١٤/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٤٨: وخلع على أبي منصور بن أبي الفتح العلوي للخروج بالحاج وإقامة الموسم.

سكن بغداد، وحدَّث بها عن البغوي وطبقته، وروى عنه البَرْقاني، وشيوخ الخطيب، وكان صالحاً زاهداً عابداً ثقة.

قال الخطيب: حدثني البرقاني عنه قال: صمتُ ثمانيةً وثمانين رمضاناً.][1]

وفيها توفي

عَضُد الدولة

فَنَّاخُسْرو - وقيل: بُوَيه - بن أبي علي بن تَمام بن كُوهي، والمشهور فناخسرو، ونسبه إلى أردشير بن بابك[2].

وقد أشار إليه المتنبي بقوله: [من المنسرح]

أبا شُجاعٍ بفارسٍ عَضُدَ الدَّولةِ فَنَّاخُسْرو شَهنْشَاها[3]

وهو أول من تلَقَّب في الإسلام بشَهنْشاه، وقال أبو علي الفارسي: منذ تلقَّب بذلك تَضَعْضَع، وما كفاه هذا حتى مَدح نفسَه فقال: [من الرمل]

عَضُدَ الدولةِ وابنَ رُكْنِها مَلِكَ الأملاكِ غَلَّابَ القَدَرْ[4]

وسنذكر الأبيات إن شاء الله تعالى قريباً.

ذكر طرف من أخباره:

قد ذكرنا دخولَه بغداد، ولما دخلها كان الخراب قد استولى عليها وعلى سوادها بانفجار بُثوقها، وقطعِ المفسدين لطُرقاتها.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وانظر تاريخ بغداد ١١/ ٣٦، وذكره ابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ٣٠٤ في وفيات سنة (٣٧٣)، وذكره الذهبي في تاريخه ٨/ ٤٠٠ في وفيات سنة (٣٧٤).

(٢) كذا ورد هذا النص في (خ ب)، وترجمة عضد الدولة أخلَّت بها النسخ (ف م م١).

والذي في المصادر أنه: فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي.

والذي نسبه إلى أردشير هو الأمير ابن ماكولا. انظر يتيمة الدهر ٢/ ٢٥٧، والمنتظم ١٤/ ٢٩٠، والكامل ٨/ ٥٨٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٥٠، والسير ١٦/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٧٦، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٤٢، ومصادر أخرى في حواشيها.

(٣) ديوان المتنبي ٤/ ٤١٠ بشرح البرقوقي.

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٣٠٠ عقبها: قبّحه الله وقبح شعره وقبح أولاده، فإنه قد اجترأ في أبياته هذه فلم يفلح بعدها.

وكان بنو شَيبان قد منعوا أحداً يسير في طريق، فبعث إليهم العساكر فقتلهم، وأسر منهم ثمان مئة رجل.

وسدَّ البثوق؛ بَثْق اليهودي، وبَثْق السَّهليّة، وأمر الأغنياء بعمارة مُسَنَّياتهم التي على دجلة، وغَرس الزَّاهر الذي كان دار أبي علي بن مُقْلَة، وكانت قد صارت خَراباً تلًّا، وغرس التَّاجي بُستاناً عند قُطْرَبُّل، وحَوَّطه على ألف وتسع مئة جَريب، وأمر بحفر الأنهار التي دَرَست، وعَمِل عليها أرْحاء الماء، وحَوَّل من البادية قوماً فأسكنهم بين فارس وكرمان، فزرعوا وعَمَروا البريّة، وحمى الدنيا، وأخَّر الخراج إلى النَّيروز المعتضدي، ورفع الجِبابة عن الحاج، وأقام لهم السَّواني في الطريق، وحَفَر المصانع والآبار، وأطلَق الصِّلات لأهل الحرمين، ورَدَّ رسومَهم القديمة، وأدار السُّور على مدينة النبي ﷺ، وكسا المساجد، وأدرَّ الأرزاق، وأقام المؤذِّنين والأئمة والقُرَّاء.

وكان كثيرَ الصَّدَقات؛ تصدَّق مرةً بثلاثين ألف درهم، ومرة بثلاث مئة ألف درهم، وقيل: بثلاث مئة ألف دينار، وعمل الجسر، وكان الغَرَقُ قد هَدم القَنطَرتين العتيقة والجديدة التي على الصَّراة، فعَمرها، فتمَّت الجديدةُ بعد وفاته.

واستحدث المارستان ـ وكان بجكم قد شرع في عمله فلم يتمّ ـ وجلب إليه العقاقير التي لا توجد إلا فيه، وعمل بين يديه سوقاً للبَزَّازين ووقفه عليه، وأوقف عليه ضِياعاً كثيرة، ومما أوقف عليه أرحاء نهر عيسى عند القرية.

وكان يبحث عن سِيَر الملوك[1]، ويطلق للعيون الجامَكيَّات[2] والجوائز، فكانت أخبار الدنيا عنده، حتى لو تكلَّم إنسانٌ بمصر علم به، فروي أن رجلاً ذكره بمصر، فتَحَيَّل حتى حُمل إليه، فعاتبه وقال: قلتَ كذا وكذا، ورَدَّه إليها، وكان الناس يَحترزون من نسائهم وغلمانهم، ويَتحفَّظون في كلامهم ويقولون: للحيطان آذان.

وكانت هيبتُه عظيمة[3]، فلو لَطَم إنسانٌ إنساناً قابله شرَّ مقابلة، فانكسف الناس له، وكَفُّوا عن الظُّلم.

---

(١) في المنتظم ١٤/ ٢٩٢: وكان يبحث عن أشراف الملوك وينقب عن سرائرهم.

(٢) الرواتب، انظر المعجم الفارسي ١٩٨.

(٣) في المنتظم: هيمنته عظيمة.

وكان شُجاعاً، مَهيباً، عاقلاً، ثَبْتاً، كثيرَ الفضل، شديدَ التَّيَقُّظ، بعيدَ الهِمَّة، مُحِبًّا للفضائل، مُتجَنِّباً للرَّذائل، ناظراً في أمور الرعيَّة.

وكانت الأخبارُ تأتيه من بغداد إلى شِيراز في سبعة أيام، وتُجْلَب إليه الفواكه الطَّريَّة.

وكان مُحافظاً على صلاته؛ فكان يُباكر الحمَّام، فإذا خرج منه أدَّى فرضَ الصلاة، ويَدخل إليه خواصُّه ووزيره أبو القاسم مُطهّر بن عبد الله، فيجلس بين يديه، ويَعرض عليه الأمور، ويستأذنه في كلِّ أمرٍ بما يراه، ثم يحضر أرباب الدَّواوين على باب قصره كما جرت به العادة يَقضون الأشغال، وإذا حضر وقتُ الطعام أكل وطبيبُه قائمٌ على رأسه يُعَرِّفه منافعَ الألوان ومضارَّها، ثم يغسل يده وينام، ثم ينتبه فيتوضّأ للصلاة ويصلي الظهر، ثم يحضر ندماؤه، وهو ينظر في القصص، ويقضي الأشغال صدراً من الليل، ثم ينام وينتبه وقتَ الفجر فيدخل الحمام، فهذا دَأْبُه، وإن كان يومُ مَوكبٍ دخل عليه الناس على طبقاتهم.

ومن اهتمامه بأمور الرعية مالت نَفسُه إلى جارية، فشغَلَتْه عن النَّظَر في الأمور، فغَرَّقَها، وأخذ غلامٌ من رجل بِطِّيخة فقتله.

وكان يحب العلم والعلماء، ويجري الرسوم على الفقهاء والقرَّاء والأدباء، ووُجد في تذكرته بعد موته: إذا فَرَغْنا من حل إقليدس تصدَّقْتُ بعشرين ألف درهم، وإذا فرغنا من كتاب أبي علي النَّحْوي تصدَّقتُ بخمسة آلاف درهم[1]، وكلُّ ابن يولد لي أتصدَّق بعشرة آلاف درهم، وإن كان من فلانة فبخمسين ألفاً، ولكل بنت بخمسة آلاف درهم.

وكان يؤثر مجالسةَ الأدباء على مجالسة الأمراء، واجتمع له من الفضلاء والأدباء ما لم يجتمع لغيره إلا للمأمون وسيف الدولة بن حمدان؛ كان في أيامه: الصَّاحبُ بن عَبَّاد، وأبو إسحاق الصابئ، والمتنبي، وابن نُباتة، والشَّريف الرَّضي، وأخوه المرتضى، وأبو علي الفارسي، وابن خالَويه، والبَديع صاحب «المقامات»، ومن الزهَّاد ابن سمعون[2] وغيرهم.

(١) في المنتظم ١٤/ ٢٩٣: بخمسين ألف درهم.

(٢) محمد بن أحمد أبو الحسين، انظر تاريخ بغداد ٢/ ٩٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ٦٢٠.

وكان يُعطيهم الأموال، ويُدنيهم، ويُجالسهم، وكان ينظر بنفسه في المصالح والإقامات، والحقير من المال مثل الكبير، فلا يُطلق دِرهماً في غير وجهه، ولا يمنع أحداً ما يَستحِقُّه.

وقال لبعض كتَّابه وقد بقي في الشهر ثلاثة أيام: ادفع للغلمان جامكياتهم، فأُنسي الرجل حتى خرج الشهر، فاستدعاه وسأله فقال: أُنسيتُ، فغضب وقال: المصيبةُ أنك ما تعلم ما في فعلك من الغَلَط؛ نحن إذا أطلقنا لهؤلاء الغلمان ما لهم وقد بقي في الشهر يوم كان لنا الفَضلُ عليهم، والإحسانُ إليهم، فإذا دخل في الشهر الثاني يومان أو ثلاثة رَأَوْا لهم المِنَّةَ علينا، فإن تَفضَّلوا بالصبر فنكون معهم إلى الخسارة أقرب من الرِّبْح.

وجاء بعض الدَّيالمة ـ وكان قائداً كبيراً ـ ومعه صَكٌّ إلى كاتبٍ لعضد الدولة، وبيده كتاب لعضد الدولة يكتبه، فقال الدَّيْلمي: اكتُب لي في هذا الصَّكِّ، فقال: ما أتفرَّغُ لك اليوم، أنا مشغولٌ بكتاب الملك، فأخذ الكتابَ من يده ورماه وقال: اكتب لي في صَكِّي، وبلغ عضدَ الدولة الخبر، فأمر بعضَ حُجَّابه أن يَجُرَّ الدَّيلميَّ برجله إلى باب البلد، ويُنفى إلى دَيْلَمان، ففعل به ذلك وأخذ أمواله.

ولما جاء إلى بغداد قال له إبراهيم الصابئ: أخاف على داري من الدَّيْلَم، فأرسل معه بعضَ الدَّيالمة وقال: امنع مَن ينزل عنده، فجاء الرجل، فقعد على الباب، وعَرض له شُغلٌ فقام، وجاء بعض الديالمة، فنزل في الدار وفَرَشَها وقال: صَلُحت لي الدار انتقلوا، وجاء الرجل فقال له: الملك أمر أن لا يَنزل هاهنا أحد، فقام من ساعته، ونقل قُماشه وخرج.

وبعث عضد الدولة صاحباً له يُصلح طريقَ مكة ومعه جمال وآلات، فخرج عليه قومٌ من العرب، فأخذوا الجِمال وبقي جملٌ واحد عليه الكاتب راكب، وعليه قَفَصٌ فيه فاخِتة، فقال له زعيم القوم: ما هذا الطُّوَير؟ فقال: طائرٌ أعطاني إياه عضد الدولة وقال: إذا خرج عليكم أحدٌ من العرب فأطلقوه لأعرفَ خَبرَكم، فأبعثَ العساكرَ إليكم، فقال الرجل: أمسكْ يا إنسان الطائرَ ولا تُطلقه، وردَّ جميعَ الجمال وما أخذ منهم.

وكان عضد الدولة قد حَمى البلاد من كل ناحية، وأباد الأكراد والأعراب والمفسدين، واستأصل شأفَتَهم.

وقال التَّنوخي: قدم بغداد رجلٌ من خُراسان يريد الحجَّ، ومعه عِقدٌ من الجوهر له قيمة، فأودعه عند بعض التجَّار ومضى إلى الحج، فلما عاد طلبه منه فقال: ما أعرفُك، ولا أودعتَ عندي شيئاً، ونال منه، فقال له الرجل: لا تفعل فإن هذا لملك بلدي، وهو يكون سَبباً لهلاكي، وذهاباً لنعمتي، وهو مصرٌّ على إنكاره، فعرف خبرَه رجلٌ من أكابر أهل بغداد فقال له: ما لك إلا عضد الدولة، فكتب رُقعةً يشرح له حالَه، فاستدعاه خلوةً وقال له: كيف حديثُك؟ فحكى له القصة، قال: وأين دكَّان الرجل؟ فقال: في الموضع الفلاني، قال: اذهب غداً واقعد عنده على الدكان، فإذا عَبرتُ عليك فلا تكترِثْ بي، ولا تنزعج، واكتُمِ الحال.

فمضى الرجل، فلما أصبح غدا إلى الرجل وقال له: يا فلان، أنا رجلٌ غريب، فخَفِ الله فيَّ، وجعل يَستعطفه وهو لا يزداد إلا قَساوة، فبينا هو يَستعطفه وإذا بموكب عضد الدولة قد أقبل، فانهزم الناس من هَيبته، فلما حاذى الدكَّان، وقف وقال للخُراساني: أهلاً وسهلاً، متى قدمتَ؟ فقال له من غير اكتراث: منذ أيام، فقال: سبحان الله! تَقدمُ هذا البلد، ولك علينا من الحقوق القديمة والخِدَم السَّالفة ما لا نَقومُ به ولا تجيءُ إلينا، ولا تُسلِّم علينا، ما هذا الجَفاء؟! والرَّجلُ يُعرِضُ عنه، فقال عضد الدولة: الساعةَ تَحضُر إلينا لنَبُلَّ شوقَنا منك، ونقضيَ حقَّك، وسار في موكبه.

فلما رآه الرجلُ المودَع على هذه الحالة خاف وأبلَس، وحادثه ساعةً وقال: يا فلان، لعن الله الشيطان، أُنسيت عقدَك، وتركتُه في مكان كذا، فاصبر حتى أقومَ وأتذكَّر، ثم قام ودخل دكَّانه فأخرج له العقد وقال: اجعلني في حلٍّ، فأخذ العقدَ ومضى به إلى عضد الدولة، وأخبره الخبر، فبعث بالعقد إلى دكان المودَع، وأمر بأن يُعلَّق في عُنقه ويُصلَب، ويُنادى عليه: هذا جَزاءُ من ائتُمِن فخان[1].

وكَثُر اهتمام عضد الدولة بالمارستان؛ لأن الصَّرَع كان يَعتريه، فصُرع في دسته مراراً، وبعلَّة الصَّرَع مات.

(١) الأذكياء لابن الجوزي ٦٧ ـ ٦٨.

وكانت نيته في بنائه جميلة فما تعرَّض لأوقافه خليفة ولا أمير، بل كانوا يَزيدون فيها، ويفتقدونه بالفُرُش والأشربة وغيرها.

وكان له من البلاد فارس، وكَرْمان، وعُمان، وخُوزِستان، والأهواز، والبصرة، وواسِط، والكوفة، والعراق، والموصل، والجزيرة، وحَرَّان، والرَّقَّة، وديار بكر وربيعة، وآمِد، ومَيَّافارِقين، وخِلاط، وحُكْمه نافذٌ في الدنيا.

وكان يقرأ على أبي علي الفارسي النحو، وطلب منه أن يُصنِّف له كتاباً، فصنَّف له «الإيضاح»، فنظر فيه فقال: استَصْبانا أبو علي، فعمل «التكملة».

ووضع له أبو إسحاق الصابئ إسطرلاباً وأهداه إليه في يوم نَيروز، وكتب إليه: [من البسيط]

أهدى إليك بنو الأملاك واختلفوا ... في مَهْرجانٍ جديدٍ أنت مُبْليهِ
لكنّ عبدَك إبراهيم حين رآى ... عُلوَّ قَدْرك عن شيءٍ يُدانيه
لم يَرضَ بالأرض يُهديها إليك فقد ... أهدى لك الفَلَكَ الأعلى بما فيه

فبعث إليه بثلاثة آلاف دينار.

وحُسِب دخلُه في السنة فإذا هو [ثلاث مئة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم، فقال: أريد أن أبلغ به إلى] ثلاث مئة ألف ألف وستين ألف ألف درهم، ليكون دَخْلُنا في كل يوم ألف ألف درهم[1].

ومع صدقاته وأفضاله كان يَنظُر في الدنيا، ويُنافس في القيراط، وأقام المكوس، وأثر آثاراً من الظُّلم.

قال المصنف رحمه الله: والعجب أن الخليفة يكون دخلُه في كلّ يوم ألفي درهم أو خمسة آلاف درهم في الأكثر، وعضد الدولة مَغَلُّه هذا المقدار، فسبحان مَن قَدّر.

ولعضد الدولة أشعار، خرج يوماً إلى بستان يتنزه فقال: لو ساعدنا اليومَ غيثٌ، فطَبَّق الغيم، وجاء المطر، فقال: [من الرمل]

ليس شُربُ الكأسِ إلا في المطَرْ ... وغِناءٌ من جَوارٍ في السَّحَرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهى ... ناغِماتٍ في تضاعيفِ الوَتَرْ

(١) المنتظم ١٤/ ٢٩٤ وما بين معكوفين منه.

راقصاتٍ زاهراتٍ نُجُلٍ ... رافلاتٍ في أفانينِ الحِبَرْ
مُطربات مُحْسِناتٍ مُجُنٍ ... رافِضاتِ الهمِّ إبان الفِكَرْ
مُبْرِزاتِ الكأس من مَعْدِنها ... مُسْقياتِ الخَمْرِ مَن فاق البَشَرْ
عَضُدَ الدَّولةِ وابنَ رُكْنِها ... مَلكَ الأملاكِ غَلَّابَ القَدَرْ[1]
سَهَّلَ اللهُ له بُغْيَتَهُ ... في مُلوكِ الأرض ما دام القَمَرْ
وأراه الخيرَ في أولاده ... ليَسوسَ المُلْكَ فيهم بالغُرَرْ[2]

وقال أيضاً: [من البسيط]

يا طِيبَ رائحةٍ من نَفْحَةِ الخِيري[3] ... إذا تمزَّقَ جِلبابُ الدَّياجيرِ
كأنما رُشَّ بالماوَرْدِ أو عَبَقَتْ ... فيه دَواخينُ نَدٍّ عند تَبْخيرِ
كأن أوراقَه في القَدِّ أجْنِحَةٌ ... صُفرٌ وحُمرٌ وبِيضٌ كالزَّنانيرِ[4]

وشعره رَكيك إلا أنه من مثله كثير.

ذكر وفاته

لما أحسَّ بالموت تمثَّل بشعر القاسم بن عُبيد الله الوزير: [من الطويل]

قَتَلْتُ صَناديدَ الرِّجالِ فلم أَدَعْ ... عَدوًّا ولم أُمْهِلْ على ظِنَّةٍ خَلْقا
وأَخْلَيْتُ دُورَ المُلْكِ من كُلِّ نازلٍ ... وبَدَّدْتُهم غَرباً وشَرَّدْتُهم شَرقا

ثم جعل يبكي ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩] يُرَدِّدُها إلى أن مات.

وكانت وفاته في شوال ببغداد وله سبع وأربعون سنة وإحدى عشر شهراً وثلاثة أيام، وقيل: ثمانية وأربعون سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً.

وقال ابن الصابئ: وُلد بأصبهان يوم الأحد الخامس من ذي القَعدة سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، وكانت إمارتُه خمسَ سنين وشهوراً، ودُفن بدار المملكة، وأُخفي خبرُه حتى خرجت هذه السنة، وتقرَّرت قواعدُ المملكة لولده صَمصام الدولة، ثم حُمل في السنة الآتية

(١) في هامش (ب) حاشية: هذا كفر، هل يغلب القدر؟
(٢) في يتيمة الدهر ٢/ ٢٥٩، والمنتظم ١٤/ ٢٩٤: ليساس الملك منه بالغرر.
(٣) نبات له زهر أصفر يستخرج دهنه ويدخل في الأدوية.
(٤) في يتيمة الدهر ٢/ ٢٥٩: صفر وحمر وبيض من دنانير، وانظر المنتظم ١٤/ ٢٩٣.

إلى الكوفة، ودُفن عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تُربةٍ عُمّرت له هناك، وكُتب على قبره في مَلْبَنٍ من ساج: هذا قبر عضد الدولة وتاج الملّة أبي شجاع بن ركن الدولة، أحبَّ مُجاورةَ هذا الإمام التقي؛ طمعاً في الخلاص يوم تجيءُ كلُّ نفسٍ تُجادلُ عن نفسها، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعِترتِه الطَّاهرة.

ولما مات عضد الدولة اجتمع جماعةٌ من الأكابر وكانوا عشرة، فقال الأول: أيها الملك، كيف غَفَلْتَ عن كَيْد هذا الأمر حتى نَفِذ فيك، وهلَّا اتَّخذْتَ دونه جُنَّةً تَقيك، إن فيك عِبرةً للمُعتَبِرين وآية للمُسْتَبصِرين.

وقال الثاني: مَن استيقظ للدنيا فهذا نومُه، ومَن حَلَم فيها فهذا انتباهُه.

وقال الثالث: لقد وَرِث هذه الدنيا بغير إرث، وأعطاها فوق قيمتها، وطلب الرِّبْحَ فيها فخَسِر روحَه.

وقال الرابع: ما رأيتُ غافلاً في غفلته، ولا عاقلاً في عقله مثلَه.

وقال الخامس: مَن جدَّ للدنيا هَزَلَتْ به، ومن هَزَل بها جَدَّت له.

وقال السادس: ترك الدنيا شاغرة، ورحل منها بغير زاد ولا راحلة.

وقال السابع: إن ماءً أطفأ هذه النار لَعَظيم، وإن ريحاً زَعْزَعَتْ هذا الرُّكن لَعاصف.

وقال الثامن: إنما سَلَبَك مَن قَدَر عليك.

وقال التاسع: لو كان مُعْتَبِراً في حياته لما صار عِبرةً في مماته.

وقال العاشر: الصَّاعد في دَرَجاتها إلى سَفال، والنَّازلُ في دَرَكاتها إلى مَعال.

قال المصنف رحمه الله: بين كلام هؤلاء وأولئك المتقدمين المتكلِّمين على تابوت الإسكندر كما بين المَلِكَين في المساواة.

[وفيها توفي]

محمد بن جعفر بن أحمد

أبو بكر، الحَريري، المعدَّل[1]، البغدادي، ويُعرف بزوج الحُرَّة.

---

(١) في (ف م م١): محمد بن جعفر أبو أحمد الحريري واسمه أبو بكر المعدل، والمثبت من (خ ب)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢/ ٥٣٥، والمنتظم ١٤/ ٢٩٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٧٩.

كان فقيراً يَحمل على رأسه، فتزوَّج زوجةَ المقتدر، فوصل إليه أموال عظيمة.

[وقد حكى الخطيب قصَّته فقال: حدثني علي بن المُحَسِّن، عن أبيه قال: حدثني] الأمير أبو الفضل جعفر بن المكتفي قال: كانت بنت بدر مولى المعتضد زوجة المقتدر بالله، فأقامت عنده سنين، وكان لها مُكرِماً، وعليها مُتفضِّلاً، فلما قُتل المقتدر سَلِمتْ من النَّكْبَة، فخرجت بأموالها وذخائرها من الدار، وكان يدخل إلى مَطبخها حَدَثٌ يحمل فيه على رأسه، يُعرف بمحمد بن جعفر، وكان حَرِكاً، فنَفَق على القَهْرَمانة، فنَقَلَتْه من حال إلى حال حتى جعلتْه وكيلَ المطبخ، ثم ارتفع أمرُه حتى صار ينظر في ضِياعها، وغلب عليها، وصارت تُكلِّمُه من وراء الستر، فعَلِقَ بقلبها، فدَعَتْه إلى تزويجها فلم يَجْسُر، فأعطته مالاً كثيراً، فصانع به القضاة والحكام والأولياء، فتزوَّجها.

فأقام معها سنين فماتت، فوَرِث منها نحواً من ثلاث مئة ألف دينار، وأوصَتْ إليه في ضياعها وأوقافها ومالها، فأُقِرَّتْ في يده.

وكان يُسمَّى زوج الحُرَّةِ لأجل أن المقتدر تزوَّجها، وكذا عادة الخلفاء لغَلَبة المملوكات عليهم فقيل لها: الحرة.

[وقال الخطيب: وحدثني علي بن شاذان قال: كان زوج الحرة جارنا، وسمعتُ منه مجالسَ من أماليه، وكان يَحضُر مجلسه القاضي الجَرَّاحي، وأبو الحسين بن المظَفَّر، والدارقطني، وابن حَيُّويه وغيرهم من الشيوخ.]

توفي زوج الحرة ليلة الجمعة، ودُفن يوم الجمعة لأربع خلون من صفر بالقرب من مَعروف الكَرْخيّ [وحضرتُ مع أبي الصلاة عليه]، وكان عَدْلاً مَرضيًّا.

[حدَّث عن محمد بن جرير الطَّبَري، وعبد الله بن محمد البَغَوي، وأبي بكر بن أبي داود وأمثالهم، وروى عنه ابن رزقويه، والبَرْقاني، وشيوخ الخطيب وغيرهم.

وكان] جليل القدر من الثقات.